KADHAYA TARIKHIA

قضايا تاريخية

ISNN :718X EISSN : 2802-6031

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228

مجتمع مدينة طرابلس الغرب خلال العهد العثماني(1551–1911)

Society of the city of Tripoli in the West during the Ottoman era (1551-1911)

د.سبيحي عائشة[1*] ، أ.د.تاونزة محفوظ[2]

[1]المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة(الجزائر)، sbihiaicha1@gmail.com

[2] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، taouanzamahfoud@yahoo.fr

المجلد: 08 العدد: 02 السنة : 2023م الصفحات: 61- 83

تاريخ الاستلام: 2023/11/11 تاريخ القبول: 2023 /12/25 تاريخ النشر: 2023/12/30

* المؤلف المرسل : د/ سبيحي عائشة

الملخص:

يعالج المقال اساسا لمحات عن الحياة الإجتماعية في مدينة طرابلس الغرب خلال الحقبة العثمانية1551-1911،حيث انعكست الظروف السياسية لولاية طرابلس خلالها على الواقع الإجتماعي الذي ميزه تدني الواقع المعيشي والصحي ،والذي سيزداد سوءا خلال العهد القرمانلي،مع احتفاظ سكان المدينة بعاداتهم وتقاليدهم وانتمائهم وتحدي الواقع المأساوي

كلمات مفتاحية: طرابلس الغرب، العهد العثماني، العهد القرمانلي، المجتمع الليبي، المستوى المعيشي.

Abstract:

The article deals mainly with glimpses of social life in the western city of Tripoli during the Ottoman era 1551-1911, during which the political conditions of the Tripoli state were reflected in the social reality, which was characterized by the decline of the living and health conditions, which will get worse during the Karamanli era, with the city's residents retaining their customs, traditions, and belonging, and challenging reality.

Keywords: West Tripoli; The Ottoman era; The Karamanli era ; Libyan society; The standard of living

مقدمة:

أصبحت طرابلس الغرب تحت لواء الدولة العثمانية منذ عام 1551م،تاريخ انتصار القوات العثمانية بقيادة سنان باشا على الإحتلال الصليبي الإسباني لطرابلس منذ عقود.وبهذا فقد أسفر التعاون ما بين العثمانيين والسكان المحليين عن طرد الإيبيريين من السواحل الليبية ، وتوسم سكان طرابلس الغرب بالتواجد العثماني خيرا،بيد أن ظروف حكومة الدولة العثمانية جعلتها عاجزة عن فرض النظام في الولاية ومراقبة قرارات ولاتها الذين أضحوا تحت رحمة نزوات الجند وامتيازاتهم ما أدى إلى فقدان الأمن والإستقرار.الأمر الذي سينعكس لا محالة على الحياة الإجتماعية للأهالي في مدينة طرابلس الغرب.

و من هنا تكمن أهمية هذا البحث الموسوم بـــ:مجتمع مدينة طرابلس الغرب خلال العهد العثماني(1551-1911)

الذي يعالج الأوضاع الاجتماعية التي شهدتها طرابلس الغرب في ظل الإدارة العثمانية محاولين من خلاله الإجابة عن الإشكالية التالية:

- مامدى انعكاس الأوضاع السياسية الأمنية لطرابلس الغرب خلال العهد العثمانية على المجتمع الطرابلسي؟

وتم تفكيك الإشكالية الرئيسية إلى عدة إشكالات فرعية وهي:

- ما طبيعة البنية الاجتماعية لمدينة طرابلس الغرب العثمانية؟
- وما طبيعة العلاقة بين الأهالي والأتراك؟
- و بم تميز الوضع المعيشي للسكان؟

وتكمن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع في قلة الدراسات الأكاديمية حول تاريخ ليبيا عموما والتاريخ الاجتماعي بصفة خاصة خلال العهد العثماني مقارنة مع دراسات هامة ،عادة ما تقتصر على دول المغرب العربي الثلاث(الجزائر-تونس-المغرب.)، وكذا الرغبة في

التوصل إلى جملة من الحقائق تتعلق بمدى صحة الانتقادات الموجهة للعثمانيين فيما يخص انفصالهم عن الأهالي وظاهرة الاستعلاء التي تميزوا بها ،إضافة إلى اضطهاد سكان المناطق التي قاموا بإلحاقها بإمبراطوريتهم.

وتتمثل المادة التاريخية لهذه الدراسة في أخبار الرحالة العرب والأجانب الذين زاروا طرابلس الغرب وأقاموا بها(الليدي ورثلي،جيرارد،البروفنسالي والتيجاني وغيرهم)،وفي مؤلفات المؤرخين الليبيين الذين عايشوا بعض فترات الوجود العثماني في ليبيا مثل: المؤلف ابن غلبون صاحب (كتاب التذكار).أما بالنسبة للإطار الزمني لهذه الدراسة فقد شملت جميع حقبة التواجد العثماني بطرابلس الغرب(1551-1911).

وقد اقتصرنا في الدراسة الاجتماعية على مدينة طرابلس دون الأطراف والضواحي والبوادي لسببين هما:

- وفرة المادة المعرفية حول سمات المجتمع الليبي من خلال طرابلس الغرب المدينة، مقابل شح المادة التاريخية التي تتناول حياة الطرابلسيين في المناطق الصحراوية والبدوية وفي الأطراف خاصة وأن معظم الرحالة اقتصر تواجدهم في ليبيا على مدينة طرابلس.

-باعتبار أن المدينة تعطينا نظرة معمقة حول الظروف الاجتماعية وملابساتها مقارنة بالبوادي و الأطراف.

1. سكان طرابلس الغرب:

1.1.السكان الأوائل لطرابلس الغرب:

حوالي القرن العاشر قبل الميلاد وهو التاريخ الذي تبدأ فيه معرفتنا التاريخية بطرابلس الغرب، كانت البلاد مسكونة من قبل أقوام تدعى الأقوام الليبية، ونعني بهم الليبيين الأهالي الذين اعتدنا تسميتهم بالبربر.ففي الوقت الذي أقام فيه الفينيقيون، أولى مستعمراتهم على

طول سواحل إفريقيا الشمالية، كانت هناك شعوب تسكن طرابلس الغرب، وهي التي اتفق على تسميتها(بالليبيين)، الذين ذكر المؤرخ اليوناني هرودوت بعض أسمائهم:النساسمون(Nasamoni) الذين سكنوا منطقة خليج سرت، «بسيللي» و«ماكاي» و«جندانس» في المنطقة الواقعة بين خليج سرت الكبير وخليج سرت الصغير(خليج قابس)، ويعيش الجرامنت والغانفسني في دواخل القطر.

كما يذكر سترابون نفس الأقوام الذين ذكرهم هيردورت ويضيف إليهم بين سكان الدواخل(الجيتولي)، أما أخبار بروكوبيوس[1] في العهد السادس ميلادي تشير إلى أنه كانت تعيش بطرابلس الغرب شعوب لواته وكانت منتشرة في خليج سرت.وفي بداية القرن السابع الميلادي، وبعد قيام ولاية إفريقية جرى ضم طرابلس الغرب إلى مقاطعة مصر البيزنطية، وبعد ضياع مصر أصبحت طرابلس في خط المواجهة الأمامية ضد الفاتحين[2].

-القبائل الليبية:

سيطر البربر على تاريخ البلاد الليبية، وقاوموا الزحف العربي ثم اعتنقوا الإسلام واحتضنوا المذاهب الخارجية، وأهم الوثائق التي تتوفر عن السكان البربر بطرابلس الغرب هو العرض الذي يقدمه ابن خلدون[3] في عصره أي القرن الرابع عشر باعتباره مصدر مبني على أسس ودراسات متزنة محددة[4].

ويقسم ابن خلدون-في القرن الرابع عشر- البربر إلى جذمين[5] كبيرين رئيسيين:

أولا: البرانس

ثانيا: مادغيس

وتنتمي إلى البرانس:

-أوريغة: وتعرف باسم هوارة وتضم عدة قبائل، نجد بقاياها أو أثر إقامتها في طرابلس الغرب، متمثلة في بعض قبائل غريان ومسلاته مثل«المجاريس»الذين يقطنون جنزور وبنوتازة

وبنوخيار الذين كانوا يقطنون منطقة الجفارة شرقي طرابلس وبند الخطاب وعكارة ومسراتو وهم طوارق هجار ورول وبنو ثابت وبنوعمار.

–كتامة: وقد بقي من بطونها بطرابلس الغرب قبيلتا سيلين والنورة.

وتنتمي إلى جذم مادغيس:

–**أداسة:** وتنحدر منها قبائل ترهونة.

–.**ضريسة**:ومن بطونها زناتة التي تشمل بني يزليتن وبين يغرن ومفرواه وبني خزرون وبني مرين.

–.**نفوسة:** ويتألف منها سكان الجبل وقد كانت منتشرة قديما حتى صرانة.

–.**لواتة:** ومن فروعها الرئيسية نقزاوة ولواتة التي ينحدر منها بنو مالك وقبيلة رفجومة المشهورة بثورتها[6].

2.1.الفئات الاجتماعية:

تقدر السلنامة وهي الحولية الرسمية لولاية طرابلس، سكان طرابلس الغرب بحوالي ثلاثة ألاف نسمة، ولكن هذا الرقم يبدو أقل بكثير مما ذهبت إليه الإحصائيات التركية التي قدرت عددهم خلال العهد العثماني الأول[7] بما يزيد عن600ألف نسمة بينما قدر عددهم غداة الغزو الإيطالي حسب تقرير باتسيودي توسنين–هو أحد رجال الحملة الإسبانية– ب10آلاف نسمة[8].

إذا كان هذا الاختلاف في عدد أفراد طرابلس الغرب فإن هناك شبه إجماع حول العناصر التي تألف منها المجتمع الطرابلسي، حيث تكون من الفئات التالية: الأهالي، الأتراك، الجاليات الأحنبية،الطارئون على الإسلام.

1.2.1.الأهالي:

وهم في الأصل القبائل البربرية التي تعربت مع الفتح الإسلامي، وحسب المؤرخ حسن الوزان فإن عددها بعد الاحتلال الإسباني قدر بحوالي ستون عائلة، وهم الأغلبية الخاضعة وكان لهم دور هام في دفع الضرائب للسلطة التركية الحاكمة.

وكان القادة يبثون في الناس الشعور بسلطة الحكومة، أما المناطق النائية فقد كان البدو يحيون حياة حرة خارجة عن كل قيد(9).

ولم يكن لأهل البلاد شيء من الأمر الذي كان بيد الفئة متسلطة مستبدة من الإنكشارية والعناصر الطارئة على الإسلام(10).

وكان هناك انفصال جلي بين الأهالي والأتراك ،حيث نجد هناك أحياء للأهالي وأخرى للأتراك ولكل من الطائفتين مساكنهم ومقابرهم ومقاهيمهم وغيرها...إلخ.

2.2.1.العنصر التركي:

تمثل في العناصر العسكرية والإدارية وبعض الوافدين على البلاد بمحض إرادتهم واختيارهم ،كانوا يشكلون أقلية مسيطرة، وقد أظهروا قلة إهتمامهم بالسكان، ربما يعود ذلك إلى الاختلافات القوية بين العنصرين في الجانب البشري والسلالى رغم وحدة الدين. (11)

الأمر الذي جعل من الأتراك غرباء، فلم يمتزج العرب بالأتراك باستثناء تكوين نواة صغيرة ممتزجة عرفت باسم القولوغلية لكن وجودها محدودا بمدينة طرابلس، وكان الانفصال بين الأتراك والعرب أقوى ظهورا في الدواخل بين البدو(12).وكانت أحوالهم حسنة مقارنة بالأهالي ينعمون بالمنازل الفخمة ولهم مراكز خاصة بهم ، و يذكر في هذا الصدد الباحث خليفة محمد التيلسي:«تظهر من خلال اجتماعاتهم في سوق الترك وبازار البن وهو المكان الذي يقصده الأتراك ليتحدثوا عن الأخبار اليومية والشؤون العامة ويرتجفون القهوة»(13)، وكان لهذا المركز مكانة كبيرة لدرجة أن"بعض طباخي القهوة بهذا السوق أصبحوا أمراء كحال عثمان القهواجي الدرغوتلي"(14).

3.2.1.الجاليات الأجنبية:

-العنصر اليهودي:

استقر بطرابلس منذ عهود سحيقة تعود إلى عهد البطالسة[15] وهو يشكلون جزءا من سكان طرابلس وهو يقيمون بركن قرب المدينة تعرف أحياؤهم من خلال انعدام النظافة فيها، وهم يعيشون عيشة بائسة ولهم معبد خاص وبلغ عددهم في العهد العثماني الأول حوالي 12000.

وفي العهد القرمانلي[16] بلغ عددهم الألفين شخص ونشطوا مقارنة بالعنصر المسيحي وتوفروا خلال هذا العهد على وضع جيد وأصبحت لهم يد طولى في دواليب السلطة[17].

-الجالية المسيحية:

أغلبها عناصر أوروبية وفدت بموجب الامتيازات السياسية والاقتصادية بين الدول الأوروبية والإمبراطورية العثمانية وكانت العلاقات بين الأهالي والجاليات الأجنبية يغلب عليها التعصب الديني[18].

ويذكر الرحالة الألماني نختال أن الجالية الأوروبية يغلب عليها العنصر المالطي ويفدون إلى طرابلس فقراء، لكن سرعان ما يفلحوا في جمع الثورة بسبب نشاطهم وجديتهم وذكائهم[19].

وقد أوردالباحث راسم رشدي في كتابه(طرابلس الغرب

في الماضي والحاضر)أهم الجاليات الأجنبية الأوروبية:

-الجالية المالطية:

بلغ عدد أفرادها ثلاثةآلاف نسمة يتعاطون أعمالا تجارية مختلفة.

-الجالية الإيطالية:

عدد أفرادها الألف نسمة أكثرهم يقيم بطرابلس يشتغلون بالتجارة والتصدير.

-الجالية الفرنسية:

قدر عددها حوالي ثمانمائة نسمة يعملون بالمنسوجات[20].

هذا إضافة إلى العدد الهائل من الأسرى المسيحيين الذين كان لوجودهم الأثر في قيام بعض المنشآت الخاصة بأجوائهم وعرفت بـ الحمامات كما تم استغلالهم في إنجاز المنشآت العمرانية، كما كانت هناك في بلدانهم بحيث كانوا يعفون من القيام بأي عمل من الأعمال المقررة على الأسرى العاديين.

ومن التسامح الجلي مع الأسرى هو تمكينهم من ممارسة طقوسهم الدينية.

وبلغ عدد الأسرى في عهد محمد باشا الساقزلي 500 بعد أن كان عددهم400 أسير[21].

3.1.التركيب الاجتماعي:

كان سكان طرابلس مقسمين إلى فئات، طبقات وقبائل: تجار، فلاحون، عبيد وتكوينات قبلية جماعية، عكست غالبية السكان مزيجا من البربر والعرب والأتراك والزنوج، هذا التعدد العرقي خففه الإعتقاد في الإسلام السني المالكي لغالبية السكان ماعدا وجود أقلية تعتقد في الإسلام الإباضي الخارجي وأقلية يهودية منغلقة أي مدينة طرابلس والجبل الغربي[22].

أما بالنسبة للتركيب الحضري في المدن فقد شمل طبقة الأعيان(تجار، إداريين، علماء دين وحرفيين).

أما الدواخل فقد عاش فيها التجار،و الفلاحون،و العبيد والقبائل، فالفلاح الحر هو الذي استقر في مزرعة السواني، ودفع الضرائب إلى الدولة أو القبيلة مقابل الحماية من القبائل الأخرى، والعبد إما خادم في منزل أو مزرعة أو راع مملوك من قبل عائلة أو قبيلة[23].

أما تركيب القبائل الاجتماعي فتعدد بناء على الترحال والتحالفات مع الدولة أو القبائل الأخرى، وكانت أغلب القبائل تتبع نمط معيشة الرحل في تنقلها خلال مواسم السنة بين المراعي، الأوطان والواحات، هذه القبائل مارست الزراعة الموسمية. ورعي الحيوانات، ولكن بعضها مارس التجارة بشكل أساسي.

وكما هو معروف فإن أصول التكوينات القبلية في ليبيا يرجع إلى القرن الحادي عشر بعد مجيء قبائل ابن هلال وسليم، لعبوا دورا هاما في تعريب المنطقة ونشر اللغة العربية، كما أثروا في البنية الاجتماعية حيث خلفت هجرة القبائل الهلالية تأثيرات كبيرة في التكوين السكاني، إذ تزاوجت هذه القبائل مع القبائل البربرية والعربية، وهذا التزاوج نتج عنه تعريب ليبيا ولكن بطابع بربري[24].

2- الظروف المعيشية لسكان طرابلس الغرب.:

تميزت الأحوال المعيشية في طرابلس الغرب بتدنيها في أغلب فترات الحكم العثماني وكان الفقر هو السمة الغالبة للأهالي، وما زاد الطين بلة هو فرض الضرائب من قبل الحكام وقد كانت مرهقة ويتجلى ذلك من خلال مظهر الناس في الشوارع، حيث كان أغلبهم يرتدون ملابس رثة حسب وصف الرحالة.[25]

ويصف حسن الوزان أحوال السكان عند زيارته للمدينة بقوله: ويأكل السكان طعاما رديئا جدا هو(بازين الشعير) لأن المؤن المستوردة لا تكفي لإعالتها ولو يوما واحدا، ويعتبر الفلاح غنيا إذا استطاع أن يدخر ستية أو ستتين[26].

ويصف بعض الرحالة القمع الذي كان يسلط على الرعية من الحكام حيث ورد في الحكاية أن:" عثمان باشا أرهق الرعية وضايقها وتسلط عليها..."[27].

وكان عدد قليل من السكان الذين حسنت أحوالهم يعيشون حياة شبيهة بحياة الحكام الأتراك«...إنه ليس هناك أحد ممن حسنت أحواله إلا وله بستان في المشية...» [28].

وقد كانت الرعية غالبا ما تدفع ثمن تدهور الوضع الإقتصادي، فيثقل كاهلها بالضرائب المرتفعة، فمثلا في عهد أحمد باشا القرمنلي وبعد مهاجمة الأمريكان لطرابلس الغرب [29].وانهزام أحمد بك فيها تنفس الأوروبيون الصعداء، وامتنعوا عن دفع الإتاوات، فضعف نفوذ أحمد باشا وقلت إيراداته نظرا لإنعدام المورد السابق مما اضطره إلى فرض الضرائب الفاحشة على السكان لسداد النفقات والدين الذي أخذه من بعض رعايا الدول الأجنبية، وكانت هذه الضرائب في نظر الأهالي غير ضرورية ،فأخذ التذمر يعم الناس ثم ثارت الكثير من القبائل.[30]

وقد اتصف أهالي طرابلس الغرب خلال العهد العثماني بحسن الطباع وعلو الأخلاق حسب روايات معظم الرحالة العرب والأجانب، ومن الأوصاف التي أوردها الرحالة العياشي:«...ما جمع لأهلها من زكاء الأوصاف وجميل الإنصاف، وسماحة على المعتاد زائرة، وعلى المتعافين بأنواع المبرة عائدة، لا تكاد تسمع من واحد من أهلها لغوا إلا سلاما ولو لمن إستحق ملاما، سيما مع الحجاج الواردين ومن انتسب غلى الخير من الفقراء العابدين، فإنهم يبالغون في إكرامهم، ولا يألون جهدا في إفضالهم عليهم وإنعامهم».

وكانت عادة الركب إذا دخل هذه المدينة سيما في الذهاب، أن يقيموا بها نحوا من الشهر يستعدون فيها لدخول المغارة،ن وفي هذه المدينة يشتري الحجاج ما يريدون.

وهذه المدينة قد شاهد أهلها بركة الحجاج والمجاهدين في أمر معاشهم فربما اجتمع بها من الركبان الذاهبين والآتيين خمسة أو ستة، ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على ما كان في كل مطعوم، بل ربما نقص في البلد، وإذا اجتمع الأركاب فيها كثر الزحام فيلاقي الحجاج من ذلك مشقة، ولولا ما جبل عليه أهلها من السماحة وحسن الخلق لما تهيأ للحجاج إتخاذ الزاد منها.[31]

3-الواقع الصحي لسكان طرابلس الغرب خلال العهد العثماني:

نتيجة حتمية لتدهور المستوى المعيشي، عانى سكان طرابلس الغرب من ظواهر صحية مركبة تمثلت أساسا في انتشار المجاعات المتكررة، ناهيك عن الطاعون والكوليرا.

حيث اجتاحت طرابلس عام 1767 مجاعة فظيعة وفي صيف 1784 انتشرت المجاعة من جديد وصورت الليدي ورثلي(زوجة دبلوماسي بريطاني في تركيا) في يومياتها ما نجم عن هذه المجاعة قائلة:«إن الولاية في هذه الأيام تعاني حالة من القحط والمجاعة حتى أنه ليروع المرء أن يمشي راجلا أو على حصانه بسبب المخلوقات الميتة التي كثيرا إما تقع هالكة في عرض الشارع... [32] ».

كما أشار لهذه المجاعة إبن غليون في التذكار«في أيام حكم علي القرمنلي[33] حل بالبلاد قحط شديد سنة 1767م أدى إلى هجرة كثير من السكان إلى مصر وتونس وأصيب من لم يهاجر بالكوليرا، ومات من مدينة طرابلس ما يزيد عن 500خمسمائة شخص»[34] .

وقد نتجت هذه الظروف المزرية عن ضعف شخصية الباشا الذي أصبح رهينة الحاشية المقربة ،فطمعا في الحصول على الأموال كانوا يلجأون إلى بيع المواد الإستهلاكية للخارج ضاربين عرض الحائط حاجة السكان الماسة لها،وهذا ما أكده تقرير القنصل دي لانس:"ان الباشا والوزراء والباي لا يهتمون بالبؤس الشديد الذي يعانيه الناس ،وقاموا بارسال حمولات من الحبوب والزيت الى مالطا وجزيرة ماهون ،بسبب حاجتهم للنقود".[35]

-وعادة ما كان القحط والمجاعة يجرفان الطاعون وهذا ما شهدته طرابلس الغرب ففي سنة 1785م أصيبت طرابلس بطاعون انتشر في جميع القطر الطرابلسي ومات من سكان المدينة وحدها ما لا يقل عن27000 شخصا[36] ، وأشار إلى هذا الوباء الرحالة فيرود حيث قال:«لقد هاجم الوباء المدينة منذ شهرين، فكم نفسسا ترى أزهق خلال هذه المدة القصيرة؟ ثلاثة آلاف مخلوق ثم ثلاثة آلاف وارتهم جبانات طرابلس، إنهم يبلغون حوالي ربع

سكان المدينة، وقد أثر هذا الطاعون تأثيرا مدمرا على مدينة طرابلس وتلاحق أثره على أوضاعها وكان من الأسباب التي ساهمت في التدمير الإقتصادي[37] .

وهذا إضافة إلى التدمير البشري لسكان طرابلس الغرب الذي تسبب فيه وباء الطاعون حسب وصف أحد الرحالة في الحكاية(لقد أنقص الطاعون كثيرا من عدد السكان بالمدينة، إذ قضى على أسر بكاملها، وعدد السكان في هذا الوقت يتراوح ما بين13ألف و15ألف»[38] .

ولم يكن ضحايا الطاعون من العامة فحسب، بل قضى على عدد من شخصيات السلطة والحكم فمات مصطفى الكبيرالإستنكويلي الوالي الطرابلسي بالطاعون الجارف عام1088هـ، كما تعرضت المدينة حسب فيرود إلى وباء الكوليرا عام1850م[39] .

-لقد قضى هذا الوباء على ربع سكان طرابلس، وهو رقم له أهميته، وكثيرا ما كانوا يعجزون عن نقل الموتى إلى المقبرة وكان الجنود القولوغلية يطوفون بالمدينة ويزيحون الجثث وكان سببا من أسباب الإنهيار الإقتصادي، ويقول أحد الكتاب الفرنسيين عنه:«كان له أوخم العواقب على الوضع الإقتصادي والنظام الإجتماعي الآخذين من قبل في الضعف والهزال»[40] .

وكان القبول الأعمى بفكرة القدر دون حذر أو احتياط، والجهل، وقلة الأطباء(ففي العهد القرمنلي ثمة طبيب واحد من جنوا في خدمة الباشا) قد مكنت الوباء من حصد المزيد من الأرواح .

وهذا ما يوحي بالأوضاع الصحية المتدهورة لسكان طرابلس في ظل الوجود العثماني.

وظهرت بعض الإهتمامات المحدودة بالجانب الطبي مع القرنين 19 و20 فنجد بمدينة طرابلس الغرب مستشفى واحد أنشأته الحكومة ويضم 250 سريرا، والثاني أنشأته المدينة به خمسون سريرا، والثالث أنشأنه الإرسالية الإنجليزية به عشرة أسرة،أما الأطباء فأغلبهم أتراك[41] .

وتجدر الإشارة أن الداي عثمان بالي، يعتبر أكثر حكام طرابلس اهتماما بالجانب الصحي، حيث أشرف بنفسه على نظافة المدينة، تجنبا لعدم تعرضها للأوبئة والأمراض خصص عدة أقسام من قصر طرغوث لإيواء المرضى وبنى مشفى لإيواء المرضى سماها بإسمه، وكان يقدم للمرضى وجبة طعام يوميا، وخصص غرفة في القلعة، كصيدلية وزودها بالعقاقير اللازمة وإستقدم الأطباء، وعند تعرض الولاية للوباء كان يطلب من ولاية تونس تزويده بالأطباء، وفي بعض الأحيان كان يستأذن إستانبول بغية إحضار الأطباء الأوروبيين[42] .

4-العادات والتقاليد:

يعد المولد النبوي الشريف من أكثر المناسبات احتفالافي ليبيا، فترد فيه الأناشيد الدينية، ويقيم أهالي ليبيا أهمية خاصة للمناسبات المفرحة، ولا سيما الزواج والأعراس، لذلك يشهرون الزواج على الرغم من أن إحتفالات الزواج تختلف من مكان لآخر.يستمر الإحتفال خمسة(5) أيام مبتدئا بيوم الإثنين وبعد استكمال الإجراءات الشكلية يتم تحديد المهر، وبعدها يقوم العريس بإرسال الهدايا إلى عروسه، ترسل في وضح النهار على شكل قافلة تعبر الشوارع والأحياء إلى منزل العروسة، وبعد يدعى أصدقاء الطرفين للإعراب عن تمنياتهم الطيبة ويسمح فقط للنساء بالدخول إلى مجلس العروس.ثم تنتقل العروس يوم الجمعة إلى منزل الزوج في عربة مقفلة بعناية وبرفقتها قريباتها وصديقاتها، أما في منطقة الداخل فتنقل العروس على الجمل جالسة وسط هودج محاط، يردف ذلك بإقامة مهرجان سباق الخيل وبعض المعارك الهزلية مع إطلاق كثيف للرصاص في الهواء. [43].

أما اليهود فباستثناء الطبقات الراقية والأوروبية، فقد إعتادوا على تنظيم الزيجات من خلال وكالة الأجانب أو مباشرة بين رئيسي الأسرتين المعنيتين ويقدم المهر على شكل ملابس وهدايا.

ويزور العريس خطيبته في مناسبات مثل عيد الفصح وفي ليلة العرس يجلس العروسان تحت سرادق، ويقوم رجل الدين الخاخام بتلاوة عقد الزواج وتحديد المهر.

ومن العادات الأخرى، الوفيات وجنازات الموتى من الطرفين ويرافق هذه المناسبات عروض صاخبة لدى سكان البلاد الأصليين واليهود اللاجئين، واليهود إلى جانب البكاء والنواح يرخون شعورهم ولحاهم لفترة من الزمن تختلف تبعا لدرجة قرابة المتوفي، ولم يكن هناك في جنائز اليهود دفن أشياء خاصة بهم سوى وضع الجسد في التابوت بعد غسله وإزالة الشعر عنه، ثم يخرج من التابوت ويدفن في قبر يغطيه غطاء التابوت.

ويقوم يهوديان مرموقان بحمل نوع من القماش الأسود موشى بتطريز ذهبي يبسطه بهدف جمع التبرعات من أقارب وأصدقاء المتوفي أو أي يهودي مار بالقرب من المكان والنقود التي جمعت تدفع إلى أسرة المتوفي إذا كان فقيرا أولى إلى طائفة اليهودية[44].

5.الحياة القضائية:

تم إدخال نظام التشريع التركي تدريجيا إلى ولاية ليبيا، وفي سنة 1869طبقت آلية القضاء العثماني.

إن تطبيق القانون العثماني على كامل ولاية ليبيا كان إسميا، وتم تطبيقه على المناطق الساحلية المعتمدة للنظام العرفي المعمول به من قبل القبائل البدوية، وتمكنت الحملات التأديبية من فرض النظام القضائي التركي على الدواخل، فإن القبائل البدوية عارضت قوانينهم بشدة لأن ذلك عد تدخلا في شؤونهم الداخلية.

وكان النظام القضائي العثماني(المشكل من) معتمدا أصلا على المحاكم الشرعية التي تطبق القانون الديني فقط وأقيم إلى جانبها عدالة المحاكم التالية والمعروفة باسم النظامية:(محمكة بدائية- محكمة الصلح- محكمة الجنايات- محكمة إستئناف- محكمة التمييز). [45]

ونظرا لكثرة الأوروبيين الذين قدموا إلى الولاية واستقروا فيها لممارسة الأعمال التجارية وما شابهها من قيام منازعات ما بين الأوروبيين أنفسهم، وما بين الأوروبيين والليبيين وضعت لها الدولة أسسا وأنظمة لتسوية مثل تلك المنازعات وذلك على النحو الآتي:

-تحال القضايا المدنية والجنائية والتجارية التي تقع بين الأوروبيين[46] ورعايا الدولة العثمانية إلى المحاكم المختصة، ويخول الأوروبي أحقية الإستعانة بموظف رسمي من القناصل كمترجم.

كان يوجد في مدينة طرابلس مدع عام يسمى(مدعي عمومي)يحتفظ بالمكتبات والدرجات، وتتعامل المحاكم الشرعية مع المسائل الآتية: مسائل الزواج، الطلاق، نفقة المطلقة، رعاية الأطفال

تقسيم التركة وعامة المسائل، وكان رؤساء المحاكم الشرعية ونوابهم معروفين كنواب أما مرشد القضاة وهو المفتي.

والنقطة الممتازة الإمتيازات الممنوحة للأجانب المقيمين في ليبيا فالقضايا المدنية والتجارية والجزائية بين الرعايا الأجانب كانوا يتعاملون علانية مع محاكم قنصلياتهم، وكذلك وجد محاكم ربانية مهمتها التعامل مع اليهود ومعالجة كافة مسائلهم الشخصية والدينية[47].

2.الأحوال الشخصية للسكان:

1.2.الأحوال الشخصية للأهالي المسلمين:

يعد الزواج من أكثر المؤسسات التي أثرت بالمركز الشخصي للمسلمين، فمن خلاله يمكن استخلاص بعض القوانين المتعلقة بالتوارث، ويكتب العقد من قبل القاضي.

وللعروس دوما الحق في المهر، إذا لم يحدث ذلك في عقد الزواج، ولها حق المطالبة به، وتثبيته طبقا للعادة المتبعة لأن العرف أقوى من القانون، ولا سيما في المناطق التي يسود فيها النظام البدوي.

يعد الطفل شرعيا إذا حدثت الولادة بعد الشهر السادس من بدء الزواج، وإذا ولد الطفل قبل الشهر السادس فإن للزوج حق الإعتراف بالمولود أو عدم الإعتراف به كولد شرعي.

وحسب المذهب المالكي السائد، فإن الأطفال ينبغي إعالتهم من قبل والدهم، فإن كانوا ذكورا يعيلهم حتى يصبحوا قادرين على كسبهم ومعيشتهم الخاصة، وإن كانوا إناثا فحتى زواجهن، وإن كان الوالد غير قادر على إعالتهم بسبب فقره فإن المسؤولية تنسحب للأم[48].

2.2.الأحوال الشخصية لليهود:

أما بالنسبة للأحوال الشخصية لليهود، فتختلف بنواح كثيرة عن الأحوال الشخصية للمسلمين، فالأطفال عند اليهود يظلون تحت الرعاية حتى سن البلوغ، بعدها يصبحون تحت سلطة القانون والتعاليم الدينية اليهودية.

ويعد الطفل شرعيا متى ولد، وفي وقت بعد حفلة الزواج أما بعد فسخ عقد الزواج فيعد ولدا شرعيا، إذا ولد خلال 300يوم من طلاق والديه.

تعد العزوبية حسب الشريعة اليهودية عيبا، وسن الزواج لديهم ينبغي أن لا يقل عن ثلاثة عشر سنة للعريس و إثني عشر سنة للإناث، ويمنع الشرع اليهودي أخو المتوفي من زواج أرملة أخيه، إذا لم تلد أولادا منه، وفي حال الإنجاب فيحق لأخي المتوفي الزواج من زوجة أخيه لضمان ذرية الأسرة.

كما حرم القانون اليهودي تعدد الزوجات وللزوجة الحق في طلب الطلاق من زوجها أمام المحكمة الربانية لأحد الأسباب منها: كعدم إنسجام الطباع، وللزوج الحق في طلاق زوجته بعد تقديمه لمبررات ذلك، وهو مجبر شرعا بطلاق زوجته في حالة إرتكاب الزنا طبقا للقانون اليهودي.

أما من ناحية الإرث فمن من حق الموروث، أن يوصي بثروته لمن يشاء حسب ما شاء، سواء كانت الوصية شفهية أو مكتوبة بحضور شهود شريطة أن يترك قسما من الثروة لخلفته لذوي القربى الحميمين. (49)

خاتمة:

من خلال معالجتنا للموضوع، تمكنا من التوصل إلى جملة من الاستنتاجات نوردها فيما يلي:

1- إن الظروف والأوضاع المحلية والدولية لطرابلس الغرب في العهد العثماني فرضت تنوعا في بنيتها الإجتماعية.

2- رغم إختلاف التركيب الإجتماعي لطرابلس الغرب وظاهرة الإستعلاء التي تميز بها الأتراك في علاقاتهم مع الأهالي، فقد ظهر في طرابلس الغرب جو من التعايش على أساس الدين الواحد المشترك.

3- فشل العثمانيون في ضبط قواهم العسكرية ومنعهم من التعدي على الأهالي، ونتج عن ذلك فقدان الأمن الفوضى واتساع الهوة بين الأهالي والحكام الأتراك.

4- كانت الأوضاع المعيشية لسكان طرابلس الغرب مزرية ميزها الفقر، الأمراض المجاعات، الطاعون وغيرها وهذا بفعل تجاهل العثمانيين لمتطلبات العصر والإكتفاء بما حققوه من قوة وعد.

5- استفاد المجتمع الطرابلس العثماني من التنظيمات الحديثة التي ادخلها الأتراك على المدينة(النظام القضائي، المستشفيات...).

تميزت العمارة الليبية بإبتعادها عن التكليف في الزخرفة والتصاميم المعقدة، ولكنها عكست واقع الولاية البسيط الذي تميز بتواضع تطوراته الإجتماعية وهو ما يوحي بحرص الدولة العثمانية على تحقيق مطامعها العسكرية على حساب تطور الولاية ورفع مستوى معيشة سكانها(50)

الهوامش:

(1) – (توفي نحو 562م)، مؤرخ بيزنطي، ولد في قيسارية فلسطين، أهم مؤرخ لعصر بوستنيانس إنتقد الإمبراطور تيودورا، له كتاب«حروب **برستينيانس**» والتاريخ السري.

(2) –إتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، تعريب وتقديم خليفة محمد التيلسي، ط1، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1974، ص25.

(3) – عبد الرحمان أبوزيد(1332-1406)م، ولد في تونس وتوفي بالقاهرة، مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي، من رواد علم فلسفة التاريخ والاجتماع وذلك في مقدمته الشهيرة لكتاب العبر ،وقد أرسى فيها أسس علم الاجتماع.

(4) – إتوري روسي، **المرجع السابق**، ص51.

(5) – مفردها جذم في اللغة العربية، تعني: أصل- منبت-

(6) – إتوري روسي، **المرجع السابق**، ص52.

(7) – يمتد من 1609 إلى 1672م.

(8) –أنظر: حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي 1983م.

(9) – إتوري روسي، **المرجع السابق**.،ص52

(10) – خليفة محمد التيلسي، **حكاية مدينة طرابلس في روايات الرحالة العرب و الأجانب**،الدار العربية للكتاب ،طرابلس،1983،ص72

(11) – **نفسه**

(12) – إتوري روسي،**المرجع السايق**، ص29.

(13) – محمد خليفة التيلسي، **المصدر السايق**.،ص149

(14) – ابن غلبون، **تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس و مابها من الأخبار**،المكتبة السلفية،القاهرة،1349هـ،ص117

(15) – إسم أطلق على ملوك مصر الهنلستين المعروفين بالبطالسة أو اللاجئين وعددهم 16 ملكا، انهارت إمبراطوريتهم عام 200 ق.م وأصبح ملوكها خاضعين لروما.

(16) – أسرة حكمت طرابلس الغرب(1721-1835)أسسها أحمد القرمنلي، أشهر أبنائها يوسف(1795-1830) أنشأ أسطولا هابته الدول.

(17) – أتوري روسي، **المرجع السايق** ، ص293.

(18) – **نفسه**

(19) – محمد خليفة التيلسي، **المصدر السايق** ، ص149.

(20) – راسم رشدي، **المرجع السايق** ،ص73

(21) – خليفة محمد التيلسي، **االمصدر السايق** ، ص87.

(22) – علي عبد اللطيف حميدة، **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا(1830-1911)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1995م، ص67.

(23) – جميل هلال، **دراسة في الواقع الليبي**، طرابلس، مكتبة الفكر، 1967م، ص76.

(24) – علي عبد اللطيف حميدة،**المرجع السابق**،، ص68.

(25) – أحمد بك النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، منشورات مكتبة الفرحاني، طرابلس، ليبيا، 1961،ص192

(26)– حسن الوزان، **المصدر السايق** ، نفسه، ص111.

(27)– خليفة محمد التيلسي، **المصدر السابق**، ص89.

(28)– **نفسه**، ص96.

(29)– راسم رشدي، **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**،دار النيل للطباعة،القاهرة، 1953،ص94..

(30)– **نفسه**

(31)– خليفة محمد التلسي، **المرجع السايق** ، ص91.

(32)– الورثلي ليدي والآنسة توللي،**عشرة أعوام في ليبيا**،ترجمة عبد الجليل طاهر،طرابلس،1967،ص66

(33) - هو ابن محمد القرمانلي، تولى الحكم عقب وفاة والده وعمره 530 سنة(1752)، وقد إستسلم للإنكشارية فسلبوه السلطة فاستاء الناس من حكم الانكشارية وانتشرت الفوضى، وكثرت المؤامرات واختل نظام الأمن وقلت واردات الدولة.

(34) - إبن غلبون ، **المصدر السابق**،ص182.

(35) - عبد الله محمد ابو فناس ،**"الجباعة في إيالة طرابلس الغرب1783-1786"**،مجلة البحوث الأكاديمية.،العدد الثالث عشر،2019،ص329.

(36) - إبن غليون، **المرجع السايق** ، ص282.

(37) - خليفة محمد التليسي، حكاية طرابلس، ص135.

(38) - أحمد بك النائب الأنصاري ، **المصدر السابق**، ص149.

(39) - ابن غليون، **المصدر السابق**،مرجع سابق، ص237.

(40) - إتروري روشي، **المرجع السايق** ، ص306.

(41) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، جامعة دمشق، 2000م، ص109.

(42) - نفسه.

(43) - عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة عبد السلام أدهم، بيروت، 1969م، ص23

(44) - نفسه، ص233.

(45) - محمود علي عامر ،محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص258.

(46) - شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**،، ترجمة عبد الكريم الوافي، طرابلس ليبيا، 1973، ص203.

(47) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص259

(48) – نفسه، ص263.

(49) –نفسه، ص264.

(50) – نخبة من المؤلفين الليبيين، **تاريخنا**، ج5، طرابلس، ليبيا، 1977،، ص109.

قائمة المصادر والمراجع:

– المصـادر:

1- ابن غلبون،(أبوعبد الله محمد بن خليل)،(1349هـ)،**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تحقيق وتعليق ونشر الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة

2- التيلســـي،(خليفـة محمـد)،(1977)،**حكـايـة مـدينـة طرابلس في روايات الرحـالـة العرب والأجانب**،ط03، الدار العربية للكتاب، (د.م.ط)،ليبيا

3- الورثلي،(ليدي) والآنســة،(توللي)،(1967)، **عشــرة أعوام في طرابلس**،ترجمة عبد الجليل طاهر ، طرابلس

4- الوزان،(حسن)،(1983)، **وصـــف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2 دار الغرب الإسلامي

5- النائب الأنصاري،(أحمد بك)،(1347هـ)،**المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، استنبول

6- رشدي،(راسم)،(1953)، **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**، ط1،(د.م.ط)

المراجـع:

1- الترعزيز ســامح ،(1969)، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشــمالية**، ترجمة عبد الســلام أدهم، بيروت

2- حسن الفقيه،(حسن)،(1984)، **اليوميات الليبية**، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس

3- حميدة ،(عبد اللطيف علي)،(1995)، **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان

4- روسي،(إتوري)،(1974)،**ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، تعريب خليفة محمد التليسي، بيروت، لبنان

5- فيرو،(شال)، (1973)،**الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الاستعمار الإيطالي**،ترجمة الدكتور عبد الكريم وافي،دار الفرجاني،طرابلس،ليبيا

6- ماساي،(بول)،(1984)، **اليوميات الليبية**، تحقيق عمار جحيدر،منشورات جهاد الليبيين، طرابلس، 1984م

7- محمود،(علي عامر)، وحمود،(خبر فارس)،(2000)، **المغرب العربي الحديث**،جامعة دمشق

8- نخبة من المؤلفين الليبيين،(1977)، **تاريخنا** ،(**06أجزاء**)، ج5، طرابلس، ليبيا

9- نيقولا زيادة ، **محاضرات في تاريخ ليبيا**،(1955)، المطبعة الكمالية، القاهرة

10- هلال،(جميل)،(1967)، **دراسة في الواقع الليبي**، مكتبة الفكر

المقالات:

- أبو فناس عبد الله محمد ،(2019)،"**المجاعة في إيالة طرابلس الغرب1783-1786**"،مجلة البحوث الأكاديمية.،العدد الثالث عشر،ص329.